دينامية الرّمز الأسطوري في الشعر الجزائري المعاصر

–نماذج مختارة –

The Dynamics of the Mythological Symbols in Contemporary Algerian Poetry

-Selected Models-

***نجيم ساته**

كلية الآداب واللغات جامعة محمد خيضر بسكرة،(الجزائر) sattanad@gmail.com

د. عبد الرزاق بن دحمان

جامعة محمد خيضر بسكرة كلية الآداب واللغات،(الجزائر) bendahmane1967@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2019/12/01 تاريخ القبول: 2020/11/21 تاريخ النشر: 2020/12/24

ملخص: حينما يتطارح الدّارس الشعر الجزائري المعاصر لا يجد حرجا في تسميته بالشعر الرّمزي الأسطوري نظرا لكثرة استلهام الشعراء الجزائريين للرّموز الأسطورية، وتدافعهم عليها كأنها الحجر الأسود، لذا يسعى البحث إلى جلوة الرّموز الأسطورية، واكتناه ظلالها الدّلالية في الشعر الجزائري المعاصر وفق آليات المنهج الوصفي القائم على الاستقراء والتّحليل، كما تضمن البحث نتائج جمام من أهمها: تفرّد الرّمز الأسطوري في الشعر الجزائري المعاصر وتسامى شأوه فظلّت رؤوس القرّاء معلقة في السّماء ترصده، وفكرها سابح في لجج الخيال يرصده، فكان تجربةً رمزيةً بامتياز.

كلمات مفتاحية: الشّعر الجزائري، الدينامية ، الرّمز الأسطوري ، الاحتفاء، الغموض، اكتناه الدّلالة ، استراتيجيات التوظيف.

Abstract: The student of contemporary Algerian poetry does not find any embarrassment in labeling it with the symbolic poetry that lies on the throne of myth as it is full of mythological symbols and are used widely among Algerian poets. This research accordingly attempts to unveil the mythological symbols and uncover the tempting motivations of their use. It also aims at tracing its course in contemporary Algerian poetry relying on the mechanisms of descriptive approach which is about induction and analysis. This research seeks to exploit the semantic shadows of the mythological symbols. It also includes the aesthetic results, the most important of which are the following: the uniqueness of the Mythological symbols in contemporary Algerian poetry.

Keywords Algerian poetry- dynamics - Symbol–mythological Symbol -semantic shadows –Mystery fluidity of topic- ovation – Recruitment strategies.

***المؤلف المرسل**: نجيم ساته ،**الإيميل** : sattanad@gmail.com

1. مقدمة:

سعى الشّعراء الجزائريون المعاصرون إلى تشييد مملكة شعرية لا تقوض أركانها بسهولة، فكان الرّمز سبيلهم في تحقيق هذا المبتغى نظرا لقدرته على التّواصل بين الحضارات، والرّبط بين الماضي والحاضر لبناء رؤية استشرافية تواكب الأحداث الرّاهنة، وتنصهر فيها وبها مجسدة فعل التّخطي والتّجاوز والحلول والاتحاد، مما جعل النّصَ الشّعري المعاصرَ ينضوي على مجموعة نصوص متداخلة مشحونة بدلالات تومئ تارة بالتّخفي وأخرى بالتّجلي كسراب كلما اقتربت منه ازداد منك بعدا!؟.

عمل الرّمز على تطويع اللّغة وجعلها أكثر عمقا وإيماء فهو " يعين الصورة لئلا تكون تشابها بين شيئين. ففي ((الوضوح ملل)) كما يقول ((ملارميه)) أحد زعماء الرّمزية، وفي الإشارة معجزة تعبيرية دونها الألفاظ المفسرة، والإشارة ظل لا يفسر ولا يجلى، وإنّما يكتفي بالإيحاء، وفي الإيحاء رحابة وانطلاق يدفعان بك إلى الغموض البعيد المقصود إلى المعنى وظله"[1].

يمكن القول إذن أنّ عملية استلهام الرّموز مكّنت الشعراء على غرار الشعراء الجزائريين من تحقيق أبعاد فكرية وجمالية خلاّقة، جعلت من الشّعر الجزائري المعاصر كيانا محلقا خارج الأسراب نحو عوالم لا وجودية، فكانت بنياته أكثر رمزية بدت فيها جماليات التّصوير الشّعري الّذي يتمتع بالدّهشة والمفارقة...، وأعرضت لغته عن تمثيل دور الوساطة فتسامى مطلبها حتى غدت طرفا أصيلا في بنية النّسيج الشعري.

لذا بادر البحث في الشعر الجزائري المعاصر إلى استلهام الرّموز الأسطورية كونها أنسب أداة للتّعبير عن الواقع بغير الواقع، وإدراك الوجود بغير الموجود، وهي كذلك- أي الرّموز الأسطورية- جواز سفر يُتيح وُلوج صرح العالمية من دون عوائق تذكر؛ وبناء على ما تمّ عرضه تطرق البحث إلى طرح الإشكاليات التّالية: ما الغاية من استلهام الرّموز الأسطورية، تُرى لماذا طوق الشّاعر الجزائري المعاصر نفسه بهذه البنية الرمزية؟!، ما الجديد الذي قدّمه الرّمز الأسطوري للنّص الشعري الجزائري المعاصر؟ فكلّ هذه الاستفهامات سيتم دراستها وفق المنهج الوصفي القائم على الاستقراء والتّحليل والمشدود بآليات المنهج الأسلوبي من حين لآخر، كما اقتضت الرّحلة أيضا التّعريج على الرّمز الأسطوري من حيث مفهومُهُ، وكذا اكتناه ظلاله الدّلالية من خلال نماذج مختارة من الشعر الجزائري المعاصر.

2. الشبكة المفاهيمية للرّمز:

لا يخفى علينا أنّ لُجوء الفنّان إلى الرّمز كان نظير محدودية العالم المادي، وعدم قُدرته على تعويض المطالب الرّوحية للإنسان عموما، وبما أنّ الفكرَ الإنساني فضاءٌ رحبٌ ومجالٌ لا تحده حدود فهو يعيش على المجرد أكثر من ارتباطه بالمادة، لذا كان لزاما على الفنّانين طرق باب الرّموز نظرا لامتلاكها طاقةً خياليةً، وقُدرتها على تصوير المرئي شفافا؟! فيجد كلّ منّا نفسه فيها على اختلاف أجناسنا وأفكارنا، وضمن هذا الرأي يقول أحد الباحثين " إنّ عمل الفن يُمكن تصوره كنص يحتوي على رموز يُدخل فيها كل شخص مضمونه الخاص ... إنّ التشديد جار على الخدمة الواسعة المتنوعة التي يُقدمها الفن للحياة الروحية ولإدراكنا العالم من حولنا "[2]، وهذا ما يفسر السّخاء الدّلالي والمعرفي الّذي مُني به الرّمز مما جعل منه شبكةً تعبيريةً وتواصليةً تتخطى حدود العالمية.

1.2 . المفهوم اللّغوي للرّمز:

ورد في لسان العرب تحت مادة **رمز** – **الرّمز** معناه- " تصويت خفي باللسان كالهمس ويكون تحريك الشفتين بكلام غير مفهوم باللفظ من غير إبانة بصوت وإنّما هو إشارة بالشفتين، وقيل: الرّمز إشارة وإيماء بالعينين والحاجبين والشفتين والفم"[3].

و رَمَزَ يَرْمُزُ و يَرْمِزُ رَمْزًا: ورد في القرآن الكريم ذكرُ **الرّمز** بمعنى الإشارة قال تعالى: " **قال رَبِّ اِجعْلَ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ أَلاَّ تُكَلِمَ النَّاسَ ثلاَثَةَ أَيَامٍ إلاَّ رَمْزًا**"[4].

أي الإشارة بنحو يدّ أو رأس، ومما ورد في تأويل الرّمز ضمن هذه الآية أنّ زكرياء عليه السّلام "عاقبه الله بمسألته الآية، بعد مشافهة الملائكة إياه بالبشارة، فجعل آيته – على تحقيق ما سمع من البشارة من الملائكة بيحيى أنه من عند الله- آية من

نفسه، جمع تعالى ذِكرُه بها العلامة التي سألها ربَّه على ما يبيّنُ له حقيقة البشارة أنها من عند الله (...) فأُخذ عليه بلسانه فأصبح لا يقدر على الكلام إلا ما أومأ أو أشار"[5] .

2.2 .المفهوم الاصطلاحي للرّمز:

يحوب الرمزّ حقولا دلاليةً متنوعةً، ويحمل بين طياته مفاهيمَ جمام، ففي الحقل الأدبي عرّف النّاقد الرّمزي الشهير "وليم يرك تندال" William Leaks Tendall الرّمز على أنّه " تركيب لفظي، أساسه الإيحاء – عن طريق المشابهة – بما لا يمكن تحديده بحيث تتخطى عناصره اللفظية كل حدود التقرير، موحدة بين أمشاج الشعور والفكر"[6].

على حدّ تعبير "توماس إليوت" Thomas Eliot فإنّ " الرّمز يقع (...) في المسافة بين المؤلف والقارئ ولكنّ صلته بأحدهما ليست بالضرورة من نوع صلته بالآخر، إذ الرّمز بالنسبة للشاعر محاولة للتعبير، ولكنه بالنسبة للمتلقي منبع إيحاء"[7].

يعتبر "يوهان غوته " Johann Goethe أول من حدد بطريقة أدبية وحديثة مفهوم الرّمز **Symbol** (سنة1797) (...) حينما يمتزج الذاتي بالموضوعي يشرق الرمز الذي يمثل علاقة الإنسان بالشيء وعلاقة الفنان بالطبيعة، ويحقق الانسجام العميق بين قوانين الوجدان وقوانين الطبيعة "[8].

يحتوي الرّمز على دينامية متجددة جعلته مسكونا بالحركة، مفعما بتقنية الخلق والتّصوير فهو– أي الرّمز– يبدأ من الواقع ثمّ يتجاوزه مؤسطرا إياه دون أن يلغيه حيث ينطلق من الواقع المادي المحسوس محولا هذا الأخير إلى عالم شعوري، وتجريدي يندّ التجديد الصارم[9].

لقد استخدم الشّاعر المعاصر الرّمز بدعوى أنّ اللّغةَ العاديةَ عاجزةٌ عن استيعاب، وتمثل التّجربة الشعورية، وإخراج ما في اللاشعور، وتوليد الأفكار الكثيفة في ذهن القارئ فبالرّمز تستطيع اللغة نقل هذه التّجربة وخرق عالم الوعي، وهذا ما قصده إليوت حينما قال " الرّمز يقع في مساحة بين المؤلف والقارئ لكنّ صلته بأحدهما ليس بالضرورة من نوع صلته بالآخر، إذ أنّ الرمز بالنسبة للشاعر محاولة للتّعبير ولكنّه بالنسبة للمتلقي مدار إيحاء"، وبذلك يحمل الرّمز شحنتين دلاليتين: دلالة تعبيرية – دلالة إيحائية.

فالرّمز إذن نقطة تجميع، ومركز تضافر بين جزيئات فنّية وشعورية وتجريدية يعمل الشّاعر على صهرها وإخراجها شكلا فنّيا يكون أكثر قدرةً في التّعبير عن القضايا واحتواء المواقف وفق رؤية معينة لا ندعي أنّها حبيسة نَفَسٍ ما!، أو وقف على شاعر دون آخر، لذا نجد الرّمز يبدأ جزئي وخصوصي في حين ينتهي كلي وشمولي كونه ظاهرةً أشدّ انفلاتا، تقول كلمتها ثمّ تمضي في رحلة متعددة المسالك كلما اعترض طريقها أحد سلكت مسلكا آخرا... والرّمز أولٌ لا آخرٌ حرية إيديولوجية وفنّية، وتمرد مدبّر بعناية ضدّ إله أعظم؟!، فمن من الشّعراء ألزم سيزيف على حمل الصخرة طوال رحلته الشّعرية؟!.

3.2 .الرّمز الأسطوري:

أدرك الشّاعر المعاصر أنّ العودةَ إلى الأسطورة أنجعُ حلا للتّخلص من اللّغة السطحية المباشرة الّتي طلّت على بعض التّجارب الشّعرية الرّاهنة، إن لم نقل كادت تشوب كلّ التّجارب لولا وعي الشّعراء بأنّ " اللغة في استعمالها اليومي المعتاد تفقد بالضرورة تأثيرها وتشحب نضارتها، ومن هنا قد يكون استعمال الرمز الأسطوري، والأسطورة الرمز بمثابة مناجاة للأداء اللغوي يستبصر فيه صاحبه بواسطة التشكيلات الرمزية إمكانات خلق لغة تتعدى وتتجاوز اللغة نفسها "[10]، لذا يمكننا القول أنّ

الشعرَ العربي المعاصرَ قد ترعرع في أحضان الأسطورة فحقق إنجازا فنيا رمزيا تعدى حدود العقل والحسّ وشارف عوالم غير مرئية لم يكن للمعرفة الإنسانية عهد بها لو لم تُزح الأسطورة الستار عنها؟!.

إنّ القدرة غير الاعتيادية الكامنة في الأسطورة جعلت منها " القاسم المشترك الأعظم لجميع ألوان الخلق الوجدانية التي امتازت بالتدخل، أو لنقل بالوحدة المتكاملة الجذرية المتفردة، فالشعيرة واللغة اجتمعا معا في مجالها، والأغنية والقصيدة امتزجتا على رحابها، والواقع والمتصور، والفكر والمادة، والإحساس والعقل.. والمتقابلات جميعها اندمجت وتوحدت في عالم أسطوري لا يشير إلى غيره بقدر ما يحكي ذاته"[11] الموغلة في التّجريد والمستعصية عن التّحديد، لأنّ قوتها الخارقة اكتسحت حدود المادة متخذة الرّمزية منظارا لها، فأضحى كلّ شيء في الكون شفافا يُقاد بظله حتى الحروف جُردت من أصواتها في عالم صوري تسكنه شخصيات أمثال (**سيزيف، بروميثيوس عشتار، زرقاء اليمامة**) حيث استمدها الشّاعر العربي المعاصر من عدة ينابيعَ منها الحضارة اليونانية والحضارة البابلية، والتراث العربي القديم.

3. كلف الشّعر الجزائري المعاصر بالرّموز الأسطورية:

احتفى الشعر الجزائري المعاصر بالأسطورة إلى درجة أنّ المتصفح لمتونه لا يجد حرجا في وَسْمِهِ بالشعر الرّمزي الأسطوري إذ لا تكاد الشخوص الأسطورية تجد متنفسا بين دفّاته نظرا لشيوع وَسْمِهِا وكثرة توافد الشّعراء الجزائريين المعاصرين عليها باعتبارها"من أبرز مظاهر النهضة العلمية المتحررة المطلقة من انحلال التزمت الديني والارستقراطية الفكرية.."[12] ، وقد بدأ استلهام الرّموز الأسطورية يؤتي أكله بشكل فنّي بارز في الشعر الجزائري المعاصر زمن السبعينات على أيادي الشعراء الشباب أمثال: عبد العالي رزاقي، أحمد حمدي، أحلام مستغانمي...، حيث استطاع بعضهم تحقيق قفزة فنّية نوعية برّرت اللّجوء المشروع للشّعراء الجزائريين نحو الارتماء في أحضان الرّموز، والأساطير المكرسة لخلق ما يسمى بأسطورة الإنسان المعاصر من خلال التّعبير عن هواجسه، وتطلعاته في قالب فنّي حرباوي يتلون وفق المستجدات العصرية؟!.

كذلك يمكن اعتبار فترة الثمانينات، وبداية التسعينيات مرحلة خصبة للحركة الأدبية والشعرية في الجزائر إذ تبنى الشعراء من خلالها رهانا حداثيا تمثل في انفتاح الخطاب الشعري الجزائري على الرّموز الأسطورية، وتجاوزه لهودج القاموس الاشتراكي الّذي جثم على صدره ردحا من الزّمن وبهذا يكون الشّعر الجزائري المعاصر قد حقق تطورا ملحوظا في بنيته حيث ظلّ مرهونا بإحداث نوع من التّمرد على المرحلة السابقة، الّتي حاولت أن " تموضع" الذّات الشّعرية وأن تتشبّث بالقضايا الموضوعية الخالصة"[13] ، فكان من نتاج هذا التّمر دفع " القصيدة الجديدة إلى مساحات رحبة كثيفة بالدّرامية والدّلالات الغامضة، والإيحاء الدّلالي الأكثر تاريخية على المستوى الذّاتي النّفسي وعلى المستوى القومي الإنساني"[14].

1.3 .اكتناه ظلال الرّموز الأسطورية في الشعر الجزائري المعاصر(نماذج مختارة):

لقد أضحت الرّموزُ الأسطوريةُ في الشّعر الجزائري المعاصر فريضةً شعريةً فلا نكاد نلتقي بمتن شعري خال من التّوظيف الأسطوري سيان عن طريق التّصريح أو التّلميح!؟، بل قل إنّ معظم النّصوص الشّعرية ألفيناها مزدحمة بالأساطير، وكأنّ الشّاعرَ الجزائري المعاصرَ تواقٌ للتّعبير الرّمزي المتضمن لـ:" الحلم والتخيّل والاستذكار"[15]، وهي ثلاث آليات جعلت الكتابة الشّعرية الجزائرية المعاصرة نظاما شفافا و"خطابا يمكن أن يقال عنه إنّه أدبي يتناصّ مع التاريخ والميثولوجيا. وما يجعل الأسطورة خطابا أدبيا، قدرتها على توسيع آفاق المخيّلة عن طريق الحلم والتخيّل، وما الأدب في بنيته العميقة إلا نظام رمزي قادر على

الإيحاء والتأويل"[16] ، عبر مستويات متعددة كالتّحوير والقلب، والنفي ...، وذلك حسب الدّوافع والظروف المتحكمة في توليد الأساطير وطريقة تمثلها.

ضف إلى ذلك اختلاف وتفاوت قدرة الاستلهام لدى الشّعراء الجزائريين، فكلّ شاعر ينطلق من زاوية نظر معينة تحيله إليها رؤاه المتمخضة عن مرجعيات تشرب منها طيلة مساره، فأصبحت بالنسبة له – أي الشّاعر– إيمانا وعقيدة لا بدّ من نصرتها وجعلها بموازاة وقائع العصر الّتي يمكن عدها بمثابة محفزات تثير الدّفين في خلد الشّاعر وتعمل على الانصهار به، فتنتج لنا في نهاية المطاف رؤيا شعرية أحد أطرافها متخيل أسطوري والآخر حدث واقعي، ونجد مثل هذا الصنيع في تجربة عز الدين ميهوبي الذي نأى عن كشف هوية رموزه فجعل بينها وبين المتلقين حجابا لا يُزيحه إلاّ من أوتي بصيرةَ سبر الأغوار، وقراءة الطالع إذ يقول:

لَمْ أَسْمَعْ شَيْئًا آخَرَ غَيْرَ المَوْتِ
وَحِكْمَةُ أَجْدَادِي فِي الدَّرْبِ
أُقْتُلْ مَا شِئْتَ
أُقْتُلْ ..
فَالقَتْلُ هُوَ المِيلاَدُ
أُمِي كَانَتْ تُرْضِعُنِي قِصَصَ التَوَرَاةِ وَتَزْرَعُ فِي شَفَتِي الأَحْقَادَ
القَتْلَ هُوَ المِيلاَدُ[17]

يحتفي الشّاعر بأسطورة الطائر العنقاء رمز التّجدد والبعث بعد كلّ نكسة فهو" كرماد مُبعثر لنار اتقدت وأضاءت سواد الفكر والدوغمائيات"[18] وهو كذلك التّحدّي والإصرار على إنزال النّوازل، غير أنّ الشّاعر لم يصور رمزه بعين الكاميرا، أو يجعله في حضرة لقاء مباشر مع المتلقي لينضح له بسرّ مأساته وإنّما غار به في أعماق تجربته حتّى لم يبدوَ منه إلاّ روحه تُناجي أرواح العزم والإرادة.

لقد أغرت الرّموز الأسطورية الشعراء الجزائريين نظرا لمعانقتها مضامينَ تعبر عن فكرة الموت والانبعاث فراحوا يستلهمونها في نسيجهم الشعري منبهرين بها فعز الدين ميهوبي راح يشقُ طريقَ أسطورته من رموز الخصب والحياة حيث استقرت ضالته في أسطورة العنقاء:

" أَنَا آتٍ
وَصَوْتِي فِي السَمَاوَاتِ
أُغَنِي لِلْتُرَابِ الحُرِّ
لِأَفْرَاحِي وَآيَاتِي
وَأَطْلَعُ مِثْلَمَا العَنْقَا..
رَمَادَا دُونَ أَصْوَاتٍ[19].

يحلّ الشاعر في صورة الطائر العنقاء معبرا عن صرخة ولادة جديدة تحمل طيّ حروفها الصامتة نشيدا مخلدا لشهداء الحرية الّذين ضحوا بالنّفس والنّفيس ابتغاء بعث الماضي في الحاضر المكَبِلِ للكلمة.

أما الشّاعر عبد الله العشي فيشقّ دربه مهتديا ببصيرة زرقاء اليمامة المتجلية في قوله:

" نَادَيْتُ يَا زَرْقَاء"

نَادَيْتُ لَمْ تَرُدْ

فَضَجَتِ الخُطَى

وَانُهَمَرَت

عَلَى ظِلاَلِهَا السُيَولُ[20]

يستثمر الخطاب الشعري أسطورة زرقاء اليمامة بغية إسقاط الماضي المنكسر على الحاضر فهو انعكاس مرآوي خيّم عليه صمت زرقاء اليمامة " الذي منع البوح، ومن ثمّ كان الصمت أفضل البدائل، إن لم يكن هو الملاذ الأوحد، لكن صمتها هنا قد يكون مبررا، فقد تكلمت، ولم يسمع لها، فكانت الكارثة"[21].

فالشّاعر عبد الله العشي واحد من الّذين ملكوا بصيرة استشراف الرؤى، لذا نراه يلحّ على مناداة زرقاء اليمامة إيماء منه إلى خطر محدق، فتكرار النّداء منوط بتكرار الضّغط على زر التنبيه، أو دق ناقوس الخطر؛ غير أن الّذي وقع لزرقاء اليمامة هو الموقف ذاته عند عبد الله العشي لم يأبه أحد لرؤاه فكان المصير سيلا جارفا لا نهاية لقراره.

في حين نجد الشّاعر عثمان لوصيف يتّحد بعشتروت بكلّ دلالات التّوحد الميثيولوجي:

يا ! أناديك أيتها الأخت

أيتها الأمّ

يا عشتروت[22]

يكاد الإجراء الإحصائي يغور أثناء عدّ صيغ نداء الرّموز الأسطورية المتواترة في الشّعر الجزائري المعاصر بشكل رهيب، حيث ألفينا الشّعراءَ يلحّون دون كلل في ترسيخ هذه الظاهرة، وجعلها مرتعَ الأسلوبِ الشعري/ إن لم نقل سمةً طافحةً على متونهم؟!.

والغريب في الأمر أنّ تَكرَارَ مناداةِ الرّموزِ الأسطوريةِ باسمها ضمن قائمة الحضور قد صدر من فحول الشّعر الجزائري المعاصر؟ / أم أنّ هؤلاء الشّعراء عمدوا إلى هذا الأسلوب توخيا لإيقاظ الحس، وتحديث المنبه؟!.

انتضل عثمان لوصيف الوِلاف بين جمام صيغ النّداء(يا– أناديك– أيتها) وجمام مسميات عشتروت: الأخت، الأمّ/ الحاملة للحب والجمال، وهي كذلك " ربة الحياة والخصب"[23]، فالشاعر عثمان لوصيف ينادي في عشتروت الحب/ الإخاء/ الوحدة/ الحياة الرغدة بعد الجدب/ الوطن، لذا فإنّ تواترَ مناداته للرّموز الأسطورية رهينٌ بتجدد خطاباته الشّعرية.

نوّد أن ننوّه إلى دراسة إحصائية متواضعة قام بها الدّكتور جمال مباركي مسّت أهم الرّموز الأسطورية المتوارثة في متن الشعر الجزائري خلال فترة الثمانينات والتسعينيات حيث وجدها تكاد تنحصر في "النّص السندبادي، والنّص السيزيفي، والنّص البروموثيوسي"[24]، غير أنَّ السندبادَ تفرد بحلقة غير منتهية كرنولوجيا وفنّيا.../ مدار مستمر الحركة، إذ جعل الشعراءَ الجزائريينَ المعاصرينَ شددي اللّهاث خلفه.

يعد السندباد شخصيةً من شخصيات ألف ليلة وليلة روت شهرزاد للملك شهريار حكاياته ورحلاته" في ثلاثين ليلة من لياليها"[25]، والسندباد رمز التّرحال والتّجول لاستكشاف كنوز الدّنيا ثمّ العودة إلى الدّيار لإحداث التّغيير، وعادة ما تكون رحلاته متعبةً وشاقةً تتخللها الأخطار والضياع ينجو في كلّ مرة بأعجوبة، يقوم بسبع رحلات ثمّ يتوقف في عز دينامية الزّمن ليفتح مجال الاستمرارية الشعرية، فالعدد (7) رهين النّضج والاكتمال لا الحصار النّهائي المعوق لدلالة الإبداع وبالمجمل فقد صادفت هذه الشخصية الأسطورية هوى محببا لدى شعرائنا التّواقين إلى المغامرة وحب الاستكشاف، ومن الشعراء الجزائريين الّذين وعوا تجربة السّندباد حقّ الوّعي نجد الشاعر زبير دردوخ يبهرنا بقوله في قصيدة "هي والسندباد":

مُبْحِرٌ فِي هُمُومِهِ سِنْدِبَادَا
أَفْلَتَ البَحْرُ مِنْ يَدِهِ وَعَادَا !!
مَلِكًا ضَيعَ البِلاَدَ فَأَرْسَاى
كُلُّ هَمٍ فِي رُوحِهِ أَوْتَادًا !! [26]

تعددت رحلات السندباد، وتغيرت في مجراها وفق مرجعيات ومنطلقات كلّ شاعر، وقد اختار زبير دردوخ الإبحار بالسندباد صوب الهموم والأحزان في رحلة من الذّات إلى الذّات، لم يتحقق للسندباد فيها مراده لأنّ البحث تعلق بفردوس مفقود، فبعد ترحال مَهُول عاد السندباد إلى الدّيار لإحداث التّغيير المفارق لظلاله الدّلالية عبر حركة لولبية تنازلية لأنّ كنوز الدّنيا الّتي عاد بها والّتي جعلت منه ملكا كانت نظير ضياع البلاد، ومما زاد في همومه ثلاثية تقابلية – إفلات البحر من يديه – ضياع البلاد –الشعور بالغربة والكآبة النفسية –.

تشبّث السندباد بخطاب العودة الإياب فاستنكف فراق رحلة الإبحار في اللانهائي رغبة في لملمة شتات الذّات :

تَائِهٌ فِي بِحَارِهَا السِنْدِبَادَا
يَا شَتَاتًا يُلَمْلِمُ الأَبْعَادَا !!
يَا فُؤَادًا مُهَجَرًا .. وَحَنِينًا
بَيْنَ جَنْبَيْهِ فُتِتَ الأَكْبَادَا!! [27]

يعانق السندباد هذه المرة رحلة صوفية صوب عوالم الغربة الرّوحية التّي صدحت بها اهتياجات يأسه ومرارة تنائيه عن الوطن، وقد تجلى ذلك في ثنائية تقابلية اهتصرت المسافة بين الذّات المغربة المشتاقة للوطن، وبين غربة السندباد وانتظار عودته، حيث تتّحد في هذا الفضاء الأسطوري المروج أسطورة السندباد بأسطورة إيزيس وأوزوريس إيحاءً بشدّة المعانات، وشذب الشتات:

يَا شَتَاتًا يُلَمْلِمُ الأَبْعَادَا!!

تخوض إيزيس رحلةً شاقةً ومتعبةً ينتابها الألم، المعانات / الشوق والحنين لزوجها أوزوريس فتتحدى كلّ الصعوبات وتركب المخاطر في سبيل لملمة شتات وفتات كبد زوجها، والشّاعر قام بترصيع أسطورة إيزيس وأوزوريس في خطابه الشعري أملا في لملمة شتات الذّات الضائعة، والمشيّعة على سبعين قسما ولأنّ أوزوريس تعرض للقتل والبعثرة من طرف أخيه – ست– كان العدو أقرب النّاس ومن سديم تربة واحدة، وهذا ما حدث للذّات العربية المنشطرة والمنثورة شتاتا.

4.خاتمة:

وعى الشعراء الجزائريون المعاصرون الطريقة المثلى في استلهام الرّموز الأسطورية إلى درجة أنّ " هناك من غامر في كتابة نص أسطوري"[28]، ولا أدل على ذلك من المنزلة الفاضلة الّتي أولاها الشعراء الجزائريون للأسطورة حتى غدت عشيقتهم وطريدتهم، فمن لم يظفر بمعانقتها ظلّ شعره أمد الدّهر يتيما؟!، وبذلك يكون الشعراء الجزائريون قد انفتحوا على آفاق جديدة مكنتهم من احتواء الواقع والتّعبير عن مكنوناتهم، وبث آرائهم بحرية مسهبة، كما استطاعوا مراودة تقنيات تعبيرية أخرى أكثر مجاراة لتجربتهم الشّعرية كتقنية القناع مثلا؟، مما جعل القصيدة الجديدة مساحاتا فياضة بالدّرامية والدّلالات الدّينامية، والإيحاءات الوهاجة ذات البعد العالمي، فانعكس كلّ ذلك في بنية الشّعر الجزائري الّتي ما لبثت أن ازدادت توهجا وإشعاعا وغنى بإيحاءات ودلالات ربطت الماضي بالحاضر، وأسقطته على الواقع الرّاهن، فبهرت المتلقي وجذبته إلى حقلها المغناطيسي، فأصبح حلقة من حلقاتها يقرأ ويعيد القراءة، يؤول ويتدبر فأنتجت التّجربة تجاربا وأنتج النّص نصوصا إيمانا بعدم محدودية الإبداع، وألاّ شيء نهائي في الفنّ.

5. قائمة المراجع:

1. أبو القاسم خمار: أوراق، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، د–ط، الجزائر، 1967.
2. إبراهيم رماني:الغموض في الشعر العربي الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، د/ط، الجزائر،د– ت.
3. – جمال مباركي: التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، إصدارات رابطة الإبداع الثقافية، د–ط، الجزائر، 2003.
4. –زبير دردوخ: عناقيد المحبة، دار هومة، ط1، الجزائر، 2002.
5. محمد بن جرير الطبري: تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آيِ القرآن، مج2، تح: بشار عواد معروف وعصام فارس الحرستاني، مؤسّسة الرسالة، ط1، بيروت، لبنان، 1994.
6. محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنّية، 1925 – 1975، مج 1، عالم المعرفة للنشر والتوزيع، طبعة خاصة، المحمدية، الجزائر، 2013.
7. محمد عبد الرحمن يونس: الأسطورة مصادرها وبعض المظاهر السلبيّة في توظيفها، دار الألمعية للنشر والتوزيع، ط1، قسنطينة، الجزائر، 2014.
8. ميخائيل مسعود: الأساطير والمعتقدات العربية قبل الإسلام، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، لبنان، 1994.
9. ابن منظور: لسان العرب: مج6 (ر– ذ)، دار صادر، ط6، بيروت، لبنان، 2008.
10. محمد فتّوح أحمد: الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، د–ط، مصر، 1977.
11. نزار قباني: قصتي مع الشعر، منشورات نيزار قباني، د–ط، بيروت، د — ت.
12. نعيم اليافي: تطور الصورة الفنية في الشعر العربي الحديث، مطبعة صفحات للدراسات والنشر ط1، دمشق، سورية، 2008.
13. – عبد الباسط محمود: أمل دنقل بين البكاء والكعكة والبسوس (نماذج من الشعر السياسي)، د–ط، دار طيبة للنشر التوزيع، القاهرة، مصر، 2007.
14. عبد الله العشي: يطوف بالأسماء، منشورات أهل القلم، د–ط، الجزائر، 2008.
15. عبد الله العشي:أسئلة الشعرية بحث في آلية الإبداع الشعري، منشورات الاختلاف، ط1،الجزائر، 2009.
16. عز الدين ميهوبي: عولمة الحب عولمة النّار، دار الأصالة، د–ط، الجزائر، 2002.
17. عزّ الدين ميهوبي: الشمس والجلاد، غنائية الشهيد العربي بن مهيدي، دار الأصالة، ط1، سطيف، الجزائر، 1988.

18. علي قاسم الزبيدي: درامية النص الشعري الحديث، دراسة في شعر صلاح عبد الصبور، وعبد العزيز لمقالح، دار الزمان للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، دمشق، سوريا، 2009.
19. عثمان حشلاف: الرّمز والدلالة في شعر المغرب العربي المعاصر، (فترة الاستقلال)، منشورات التبيين/ الجاحظية، د–ط، الجزائر، 2000.
20. عثمان لوصيف: غرداية، دار هومة، د–ط، الجزائر، 1997.
21. فايز الداية: جماليات الأسلوب – الصورة الفنّية في الأدب العربي– ، دار الفكر، ط2، دمشق، سورية، 1960.
22. مجموعة مؤلفين: جاك دريد فيلسوف الهوامش، تأمولات في التفكيكية والكتابة السياسة، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر، 2017.

6.الإحالات:

1 – محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنّية، 1925 – 1975، مج 1، طبعة خاصة عالم المعرفة للنشر والتوزيع المحمدية الجزائر، 2013، ص550/549.
2 – عثمان حشلاف: الرّمز والدلالة في شعر المغرب العربي المعاصر، (فترة الاستقلال)، منشورات التبيين/ الجاحظية، د–ط ، الجزائر، 2000، ص7.
3 – ابن منظور: لسان العرب: مج6 (ر– ذ)، ، دار صادر، ط6، بيروت، لبنان، 2008، ص 223/222.
4 – سورة آل عمران: الآية رقم:41.
5– محمد بن جرير الطبري: تفسير الطبري، جامع البيان عن تأويل آيِ القرآن، مج2، تح: بشار عواد معروف، وعصام فارس الحرستاني مؤسّسة الرسالة، ط1، بيروت، لبنان، 1994، ص:253.
6 – محمد فتّوح أحمد: الرمز والرمزية في الشعر المعاصر، دار المعارف، د–ط، مصر، 1977، ص42.
7 – المرجع نفسه، ص143.
8– المرجع نفسه، ص 38.
9 – ينظر: المرجع نفسه، ص40.
10– جمال مباركي: التناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، إصدارات رابطة الإبداع الثقافية، د–ط، الجزائر، 2003 ص207.
11 – نعيم اليافي: تطور الصورة الفنّية في الشعر العربي الحديث، مطبعة صفحات للدراسات والنشر، ط1، دمشق سورية، 2008، ص247/246.
12 – محمد ناصر: الشعر الجزائري الحديث، اتجاهاته وخصائصه الفنية – 1925 – 1975، ص575.
13 – يوسف وغليسي: في ظلال النّصوص، تأملات نقدية في كتابات جزائرية، جسور للنشر والتوزيع، ط1،الجزائر، 2009 ص10.
14– إبراهيم رماني: الغموض في الشعر العربي الحديث، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، د–ط، د– ت، ص291.
15 – محمد عبد الرحمن يونس: الأسطورة مصادرها وبعض المظاهر السلبيّة في توظيفها، دار الألمعية للنشر والتوزيع، ط1، قسنطينة، الجزائر، 2014، ص104.
16– لا المرجع نفسه، ص105.
17 – عز الدين ميهوبي: عولمة الحب عولمة النّار، دار الأصالة، د–ط، الجزائر،2002، ص42.
18 – مجموعة مؤلفين: جاك دريد فيلسوف الهوامش، تأمولات في التفكيكية والكتابة السياسة، منشورات الاختلاف، ط1، الجزائر 2017، ص16.
19– عزّ الدين ميهوبي: الشمس والجلاد، غنائية الشهيد العربي بن مهيدي، دار الأصالة، ط1، سطيف، الجزائر، 1988 ص15.
20– عبد الله العشي: يطوف بالأسماء، منشورات أهل القلم، الجزائر، 2008، ص50.
21– عبد الباسط محمود: أمل دنقل بين البكاء والكعكة والبسوس (نماذج من الشعر السياسي)، دار طيبة للنشر التوزيع، د–ط، القاهرة، 2007، ص38.
22 - عثمان لوصيف: غرداية، دار هومة، د–ط، الجزائر، 1997، ص27.
23– ميخائيل مسعود: الأساطير والمعتقدات العربية قبل الإسلام، دار العلم للملايين، ط1، بيروت، لبنان، 1994، ص40.
24 – جمال مباركي: التّناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، ص212.
25 – فايز الداية: جماليات الأسلوب – الصورة الفنّية في الأدب العربي–، دار الفكر، ط2، دمشق، سورية، 1960، ص210.
26 – زبير دردوخ: عناقيد المحبة، دار هومة، ط1، الجزائر، 2002، ص30.
27– المصدر نفسه، ص31.
28 - جمال مباركي: التّناص وجمالياته في الشعر الجزائري المعاصر، ص210.